

الكويت والنفط

« هذا مقال كتبه المستر « نورمان كليف » في صحيفة « نيوزكرنكل » اليومية التي تصدر بلندن يصف به كيف رأى الكويت وأثر النفط فيها اقتصادياً واجتماعياً . والكاتب وإن كان شاهد عيان ، إلا أن وجهات النظر عند كتابة موضوع ما ، ذات أثر في تكييف الموضوع ، ونحن نوافق على بعض ما جاء في المقال ونعترض على بعض ، وعلى أننا لا نبنى تحليله إلا أن لدينا بعض الملاحظات نود أن نضعها أمام القارئ لكي لا يقع في خلط نريد أن نحبه إياه :

(١) إن الواضح من لهجة الكاتبين عن الكويت هو استكثار دخلها عليها . غير ناظرين إلى الحاجة الملحة في البلاد . إلى الإصلاح والتجديد ، وإلى أن النفط هذا سينضب معينه يوماً ما مما يدعو إلى استثمار الدخل الحالي في مشروعات تثمر مستقبلاً ، ومثل هذه المشروعات تحتاج إلى الضخم من رؤوس الأموال .

(٢) تتضارب الآراء بين الكاتبين عن الكويت بالنسبة لعدد سكانها الذي نعتقد أنه أكثر مما ذكره صاحب المقال وهو ١٣٠ ألف نسمة . ولا يلام سوانا في هذا المجال ، إذ أننا لا نعرف بلداً له حظ من الثقافة ، وتتوافر له الوسائل المادية ، ولا يعرف كم يضم من الأفراد ، وليس الإحصاء بأمر صعب التحقيق وبالأخص في بلد صغير كالكويت ومنافعه ونتائجها الطبية أكثر من أن يحصى .

(٣) إننا نوافق الكاتب على أهمية التعليم ، وأنه الوسيلة إلى العدالة الاجتماعية ولكننا نأبي أن نوافق على أننا يجب أننتظر جيلاً كاملاً حتى نتحقق ، فالكويت مصممة على جعل التعليم جزءاً من قوت كل كويتي ، وأن الثروة الموجودة حالياً هي لكل عضو في أسرة الكويت الكبيرة ، بحيث لا يوجد من سكن بيتاً متداعياً أو من يبدوا مستوى المعيشة فوق متناوله ، ليس هذا بالطبع بالصدق على الكسالى من الناس ولكن بالتوجيه الصحيح وفتح مجال العمل لكل قادر ، وبالضمان الجماعي الذي يؤمن حياة كل عاجز .

(٤) من خلط الرأي أن يظن أحد أن الكويت كانت في فقر مدقع قبل اكتشاف النفط ، فالكويت بلد وميناء طبيعي . وقد كان اللؤلؤ يلعب دوراً هاماً في اقتصادياتها ، وإذا كان لاستخراج اللؤلؤ مساوئه فإنه يجب أن نستفيد من تعليمنا وتجارتنا . وقد نستطيع أن نستمد فائدة جديدة من دخل البترول لو استطعنا لإحياء تجارة اللؤلؤ واستخراجه باستخدام الوسائل العلمية الحديثة التي تساعد على تقليل الأخطار ، ووفرة الإنتاج ، يضاف إلى ذلك وضع نظام جديد له يتمشى مع الوضع الاقتصادي والاجتماعي الحديث .

ع . . .

وقد جاءوا ليقدموا احتراماتهم للحاكم ، وجلسوا على جانبي القاعة يستمعون بهدوء إلى كلماته ، بينما أشار إلى أن أجلس على كرسى الشرف إلى يساره . . وأمام الباب مباشرة من داخل القاعة يتربع ستة من الحرس الخاص ، وقد وضعوا بنادقهم أمامهم على الأرض ، وهم جماعة ذوو منظر صارم يلبسون ملابس متباينة غير جذابة تشبه الملابس الرسمية التي يلبسها الحرس الذين يقفون عند بوابات القصر . والحاكم قوى التكوين ، يمزج في قسماته مخاللت التصميم والذكاء ، وقد لبس أبسط أنواع الملابس العربية .

لقد أكد لي الشيخ أن الثروة الناتجة من امتيازات النفط (نصف أرباح شركة نفط الكويت — وهي شركة انجلوأمريكية) ستستغل لمصلحة الكويت وشعبها ، ولضمان الخدمات الصحية والتربوية ، وتوفير المنافع الأخرى التي

إن أقل شخص استثارته تلك الثروة المفاجأة التي تزيد على مليون جنيه كل أسبوع هو حاكم الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح . « إنها إرادة الله » ذلك ما قاله عنها وأنها ثروة لن يسمح لها بأن تغير شيئاً من عاداته البسيطة . والذي يدهش سموه هو تلهف الأجانب وتساؤلهم عما سيعمل بكل هذه الثروة ، ثم يتساءل « لماذا تستعلم الصحف عن الكيفية التي سأنفق بها هذه الدراهم ؟ . . إن لدى من الدوق ما يعنى من أن أسأل كيف ينفق أصحاب الصحف دراهمهم » .

استقباني الشيخ بجلاله الذي يتميز به في قاعة الاستقبال بقصره للتواضع خافسور الكويت الدفاعي المبني من الطين والذي يحيط بمدينة الكويت العربية القديمة ، وكان هناك عدد من الشيوخ الآخرين ، وشخصيات أخرى لبنانية ،

لا ينالها الكوييتيون الآن ، وأنه يرحب بكل مفيد مما يقدمه الغرب ، ويمنع كل ما من شأنه الضرر .

والشيخ يعتمد على عون بريطانيا في الدفاع عن بلده ، فقوة الأمن التي لديه والبالغ عدد أفرادها ثلاثمائة شخص لا تعادل فرقة « براشوت » حديثة واحدة .

قال لي وهو ممسك بيدي : أنظر بنفسك ما يحدث بالكوييت واكتب ما تراه فحسب . وما رأيته هو مجتمع شبه بدائي ، يسابق لكي يلحق في أشهر ، قروناً من التقدم فاته ، وثروة طائلة مفاجئة تندفق على مجتمع لا يعرف ماذا يصنع بها وغير مستعد لها بتاتاً ، تبدله من حال إلى حال .

في قلب المدينة الصاخبة حيث تصم أبواق السيارات الحديثة آذان المرء ، وتزعجه بغبارها ، يقوم العمال جاھدين ببناء عاصمة حديثة على أساس عاصمة قديمة ، ومدارس للبنين والبنات على السوء (وهي خطوة ثورية هناك) ومستشفيات مجهزة بأحدث المعدات ، ومساكن ممتازة ، تظهر بسرعة في كل جانب ، بصرف النظر عن التكاليف ، والمتعهدون والتجار وخبراء الكسب السريع يزدحمون لكي ينالوا سهماً من الغنيمة .

إن نهراً من الذهب يصب في الكوييت قبل أن تعدله المجاري التي مستحويه ، فعندما كان دخل الدولة ليس إلا بضع ألوف لم يكن هناك شعور بالحاجة إلى أي ميزانية لها أو أي سيطرة مالية ، وهنا يأتي دور الكابتن كراجتون ، ففي يدي الكرندل — الذي تحمل يوماً مسؤولية الحدود الشمالية الغربية في وزارة الخارجية الهندية — هذه المسؤولية بوصفه مستشاراً مالياً يساعد الشيخ في صرف هذه الثروة ، وهو الشخص الذي يوقع « الشيكات » إلى حين إنشاء إدارة مالية مضبوطة بموظفين ذوي خبرة لمساعدته .

وعلى أي حال فإن الكوييت التي يبلغ عدد سكانها ١٣٠ ألف نسمة ستجد صعوبة في استهلاك دخل يزيد على ٥٠ مليون جنيه سنوياً . وإلى هذا التاريخ فإن الملايين تكون بعضها على بعض في مصرف محلي ، والحاكم للتمسك بعقيدته ربما أفتع بأن يطرح جانباً كراهيته الدينية للربا إذا كان يراد أن يستثمر هذا الربح الزائد ، وإن ثروته ستستمر في النمو ما دام العالم عطشاًنا إلى النفط ، ولكن ستمر أشهر قبل أن يثبت الفحص ما إذا كان الأمل في الحصول على حقل جديد غزير للنفط يمكن تحقيقه أو أن المنقبين قد وقعوا على مجرد فرع للحقل الذي يستغل الآن . وحتى الآن

يندفع الذهب في صورة النفط من الكوييت البالغ مساحتها ستة آلاف كيلو متر مربع بما يزيد على ثلاثين مليون طن سنوياً ، تساعد على استغناء العالم عن تموينه بكميات النفط المتعطلة في يدي مصدق . بإيران .

ويزهو ستمائة وثلاثون بريطانياً وأمريكياً من موظفي شركة النفط ببيوتهم المزودة بمكيفات الهواء والتي تقع على مقربة من أكواخ البداة التي هي مساكن لهم ، والقطعان من معازهم وخرافهم . وفي خيام بدائية يتدرب الأولاد العرب الأميون ذوو العيون البراقة على النجارة واللحام والكهرباء وميكانيكا السيارات والرافعات ، ويملاؤون كرايسهم بالتصاميم الأنيقة التي تتحدى تصاميم طلبة الكليات الميكانيكية ببريطانيا : ليس النفط فقط هو الذي عثر عليه في صحراء الكوييت ، ولكن مواهب إنسانية غزيرة كذلك .

ما الذي تفيده هذه المشيخة الصغيرة إذا ما نالت ثروة العالم بأجمعه وخسرت في الوقت ذاته خصائصها العربية ؟ . إنه في مقابل تلك الإمكانيات الأخاذة التي ينطوي عليها التعليم ، والعلاج المجاني لشعب يشكو من السل والتراخوما ، وتكرير الماء ، والقوة الكهربائية ، والطرق والعمارات الحديثة ، ودور السينما والصحف — إذا سمح الحاكم بذلك — . . في مقابل كل ذلك هناك مصائب المادية والابتذال وارتفاع مستوى العيشة إلى مستوى فوق ما يستطيعه العربي العادي . وسيكون الجاني لحصاد تلك الثروة هم المحبون للأبهة من الشيوخ والمقاولون والتجار ، وسيبقى الفقير فقيراً في بيته المتداعي إلى أن يحقق التعليم معجزته للجيل القادم . ومع نور العلم سيأتي نسيم الحرية ، وهي للمرأة — التي ترى الآن في الطريق متسربة بالسواد — ستكون الحرية من الحجاب مع مضي الوقت . وقد تحقق الآن التحرر من عبودية الغوص على اللؤلؤ . حيث وجد الغائصون أن حفر الآبار في الرمال بحثاً عن النفط أكثر فائدة من الغوص على المحار بمعدة خاوية هذه وظيفة تبدو خيالية ساحرة أكثر من تلك ، ولكن أقاصيص الرحالين الخيالية لا تغزو إلا كتاب القصص فحسب . إن الآتي التي تتحلين بها ، يا سيدتي ، قد تتكلف لفلتها الكثير من المال الآن ، ولكن ذلك سيخفف الكثير من تعاسة الإنسان .

عبد العزيز حسين